# الصّورة اللّغويّة اللّونية في شعر نزار قباني

**The linguistic color imagery in Nizar Qabbani's poetry**

**ريتا قيصر بطرس**

**جامعة اللّاذقية(سوريا)**، rita.boutros@latakia-univ.edu.sy

**أد.فاخر صالح ميا**

**جامعة اللّاذقية(سوريا)**،fakher.maia@latakia-univ.edu.sy



| تاريخ الإرسال | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2026 / 02 /09 | 2026 / 03/07 | 2026 / 06 / 01 |



**مُلخّص البحث**

يلاحظ الدّارس لشعر نزار قباني كثرة الدراسات التي تناولت أدبه عموماً، تعود إلى دوافع متباينة، وقد كانت شاملة أغلب الجوانب الأدبية، ومنها ما يخصّ الجانب الإنساني في حياة الشاعر. وهذه الدراسة تتناول جانباً مهمّاً في نتاج الشاعر الأدبي، إذ تركز على صورة الشعر أساسياً، وتتّخذ الجانب اللّغوي محوراً للدّراسة ممثلاً في ظاهرة الصورة اللونية وتجلياتها على مستوى الحضور والدلالة والتصوير الفني والتجليات الشّعريّة، ودراسة معجمه اللّغويّ، وقدرته على حياكة صوره وتجلياتها اللونية والسمعية وتطورها، فالجانب اللغويّ، والاعتماد عليه يجعل الدراسة أكثر واقعية.

فالصّورة اللغوية الشّعريّة هي المادة الأساسة التي تشكّل الوجود الجمالي للحضارة الإنسانيّة، والكاتب لا يركّب العبارة ليعبّر من خلالها عن معنى معتاد، وإنّما يتعامل مع اللغة بطريقة جمالية مبتكرة يُبدع من خلالها خاصيات التعبير الجمالي الأدبي.

**الكلمات المفاتيح**: الصّورة اللّونية، الوجود الجمالي، الصّورة اللّغويّة.

**Abstract**

The researcher of Nizar Qabbani's poetry notices the abundance of studies that have addressed his literature in general, be it poetry or prose, driven by various motivations. These studies have covered most literary aspects, including those related to the human aspect of the poet's life, the tensions, differences, transitions and shifts in opinion surrounding this poet, as well as the contradictions and reservations that surround him on multiple levels. This study addresses an important aspect of the poet's literary output, as it primarily focuses on the poet's language, taking the linguistic aspect as the core of the study, represented in the phenomenon of color imagery and its manifestations at the level of presence, performance, meaning, artistic imagery, and poetic expressions. It also examines the poet's vocabulary and their ability to weave images and their color and auditory manifestations and their development, as well as the correspondence of the senses within it. Thus, relying on the linguistic aspect makes the study more realist

Language is the fundamental material that shapes the aesthetic and cultural existence of human civilization. The writer does not simply use the phrase to express a conventional meaning, but rather deals with language in an innovative aesthetic manner, through which he creates the characteristics of literary aesthetic expression.

**keywords:** color image, The aesthetic existence , linguistic image.

**1.مقدمة:**

يتناول هذا البحث دراسة الصّورة اللّغويّة اللّونيّة في شعر نزار قباني دراسة دلالية، ويهدف إلى تحليل الظواهر اللونية في الصّورة الشعرية عند نزار قباني وإبرازها، ثم دراسة التراكيب اللغوية. إنّ هذه الدّراسة اعتمدت على المنهج الواقعي النّقدي والتحليلي الّذي يقوم على النقد والتحليل لتطوّر الصورة اللّونية في شعر نزار قباني من خلال جملة من الشّواهد اللّونيّة الّتي تترافق مع تجربته الشّعريّة، فالصّورة اللّونية اللّغوية في الشعر هي تشكيل جمالي لتكوين دلالات فنية وشعورية يستخدم فيه الشاعر الألوان سواء الموحية أو الصّريحة كعنصر فنّيّ إيحائي، وتعدّ الصورة اللّونيّة جزءاً من الصورة الشّعريّة الشاملة التي تشمل التكرار والتشبيه والمجاز...إلخ، ولكنها تركز على البعد البصري لتجسيد المشهد وتحوّل الكلمات إلى لوحات حسيّة ترسم المشاهد العاطفية والنفسية، ومن أبرز خصائص هذه الصورة في الشعر: المحور الفنّيّ والدّلالة الرمزية والنّفسيّة إضافة إلى الوظيفة التشكيلية والطابع الحسي الذي يحوّل المعاني المجردة إلى صور مرئية ملموسة تُدرك بالحواس.

**أهداف البحث:**

هدفت الدّراسة إلى تحقيق العديد من القضايا:

1- الكشف عن دلالة أنماط الصورة الشعرية اللغويّة بأبعادها المختلفة.

2- توضيح ظاهرة الشّعرية المتكررة للصورة في شعره وأثرها.

3- استقراء شعرية الصورة اللّونيّة وحصرها في أشعار نزار قباني ومدى توظيف عنصر اللون في الصورة الفنية.

**فرضيات البحث:**

براعة الشاعر نزار قباني في تراسل الصّورة االلّغويّة وتمازجها في خليط واحد، فتصبح مركباً لا تنفصل أجزاؤه ولا تنقسم مكوناته. ولا تغفل هذه الدراسة الأصول الشّعريّة للصّورة اللّونية في التراث الأدبي الإنساني عموماً، إضافة إلى الجانب الفني الذي أدّى إلى إيجاد لغته الشعرية الخاصة، واحتلال اللون واشتقاقاته جانباً غير قليل من صوره اللغويّة اللّونية.

**منهج البحث:**

إنّ هذه الدّراسة اعتمدت المنهج الواقعي النّقدي والتحليلي الّذي يقوم على النقد والتحليل لتطوّر اللغة الشعرية للصورة اللّغويّة في شعر نزار قباني من خلال جملة من الشّواهد الّتي تترافق مع تجربته الشّعريّة.

**مشكلة البحث:**

إن مشكلة البحث وصعوباته تكمن في تداخل الظواهر اللغويّة للصّورة الشّعرية في شعر نزار قباني، وتشابك آثارها ممّا يصعب عملية الفرز والتحليل.

**الدراسات السابقة:**

أما الدراسات السّابقة التي تدخل في هذا المجال، فهي كثيرة ومتنوعة وأهمها:

-دراسة أسلوبية لشعر نزار قباني، للباحث طارق المجالي، الجامعة الأردنية، 2000م. يبين المؤلف في هذه الدراسة الظواهر الأسلوبية في شعر نزار قباني مثل: الانزياح بأنواعه الدّلاليّ والتركيبيّ والإيقاعيّ، وتوظيف الرّمز في الصّورة الشّعريّة بطبيعتها وأنماطها المختلفة.

-شعرية المرأة وأنوثة القصيدة، أحمد حيدوش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م. تعبّر هذه الدراسة عن الصّفات الجسدية والحسيّة للمرأة والعناصر الجمالية التي تتّصف بها، وتظهر في الشّعر عبر لغة معبرة عنها، فتمثل الأنوثة في الأدب بعداً فلسفيّاً وفكريّاً عميقاً، وتتجسّد في قصائد تعكس رؤية الشّاعر وتمزج بين الشاعرية والأنوثة والمنجزات الموضوعاتية للمرأة.

-قراءة النّصّ الشّعريّ عند نزار قباني لغة وتشكيلاً، نزار قباني أنموذجاً، إعداد: هايل محمد الطالب، دار الينابيع، دمشق، 2008م. تمتزج هذه الدّراسة بين لغة العصر المباشرة وبين التقنيات العاطفيّة لنقل المشاعر الإنسانيّة، وتتمثّل التشكيلات الدّلاليّة في قدرته على الرّبط بين الظّواهر الحياتية والتعبير عن المشاعر الإنسانيّة بلغة شعريّة بارزة.

**2. جمالية اللّغة الشّعريّة في شعر نزار قباني:**

"تعد التجربة الشّعريّة في الأساس تجربة لغة، فالشّعر هو استخدام فنّيّ للطّاقات الحسيّة والعقليّة والنفسيّة والصّوتيّة للغة. وبناء لغويّ مميّز يعمل على تفجير طاقة اللغة، ويجعلها تُضيف إلى نفسها ومن دواخلها عنصراً آخر هو الإيقاع الذي يسهم بدوره في شحن الدفقات الشعريّة والشّعوريّة تبعاً لحالة الشّاعر الانفعاليّة" [1]

فاللغة الشعرية اللونية للشاعر نزار قباني تتّسم بأنّها لغة فنية مبتكرة تُوحي بها العبارات العامّة والخاصّة، وتستلهم أحداثاً وصراعات نفسية اجتماعية عميقة تنبع من بيئة الشاعر الوطنية والمجتمعية التي تهدف وبصورة عامّة إلى تحقيق التوازن الانفعالي للشاعر وتكاثفه.

"إنّ لغة الشعر هي الوجود الشّعري الذي يتحقّق في اللّغة انفعالاً وصوتاً موسيقياً وفكراً. "[2] لأنّ أولى الأشياء الّتي "تميّز الشّعر هي القدرة على استثمار خصائص اللّغة بوصفها مادّة بنائية، فالكلمات والعبارات في الشعر يقصد بها بعث صورة إيحائية، ومن خلال هذه الصور يُعيد الشّاعر إلى الكلمات قوة معانيها الفطرية في اللّغة، ويجعل للعبارة معنى دلاليّاً يتعدّى المعنى المباشر للون الشّعريّ، وينتقل به إلى المجاز في التّعبير عن المعنى المراد. "[3]

إنّ أسلوب الشعر الفنّي عند الشاعر نزار قباني متشعب إلى أكثر من فرع يمتزج به العامّ بالخاصّ ليشكّل نموذجاً فنيّاً متكاملاً يطغى على الشكل الفني العامّ. فاللغة هي المادّة الأساسة الّتي تشكّل الوجود الجمالي والثّقافيّ للحضارة الإنسانيّة، والكاتب لا يركّب العبارة ليعبّر من خلالها عن معنى معتاد، وإنما يتعامل مع اللّغة بطريقة جمالية مبتكرة يُبدع من خلالها خاصيات التعبير الجمالي الأدبي، و"يجعل للعبارات والأنساق والجمل قوّة تتعدّى الدّلالة المباشرة، وتنقل الأصل إلى المجاز، لتفي بحاجة الفنّ في التعبير والتّصوير، فيجب أن نُدرك أنّ التّركيب أي التّشكيل اللّغوي هو المادّة الحقيقيّة المشكّلة لفنّ الأدب، لهذا ينبغي بذل جهد كبير في التّعرّف على كيفيّة استخدام الأديب للغة. "[4]

وعلى أساس ذلك يرى رولان بارت أنّ "الشعر مغاير للنثر، ولكن الفرق بينهما ليس في الجوهر وإنّما في الكم، فهو فرق لا يمسّ وحدة اللغة، فأساليب التعبير تختلف، ولكنّها تظلّ في جميع الأحوال لغة واحدة تنقل مقولات الفكر الخالد."[5]

وقد طوّر نزار قباني طريقته الشعرية، فابتكر لغة خاصّة به، فكان شعره لوحة فنيّة مزج فيها بين الشعر والنثر وجمع بين الغموض والوضوح، والصعوبة والسهولة، فكانت لغته الشعرية عذبة مملوءة بالصّور الجميلة، والإيقاع الموسيقي المبتكر.

وقد استخدم نزار قباني اللون الشعري أو النثري للتعبير عمّا في داخله، فجاءت تجربته الشعرية مثالاً صادقاً على حالته النفسية، وقد دعا بوضوح إلى وظيفة فنيّة وإنسانيّة للشّعر تجعل جماله الفنّيّ في خدمة الإنسان، وتجاربه وقضاياه الكبيرة، ولا تقف حدودها عند الجمال الخارجي فقط بل تتعداه.

وممّا لاشكّ فيه أنّ الثقافة الأولى للشاعر مستمدة من الوسط الأدبي العربي الذي يعيش فيه داخل وطنه.

"والشعر هو لغة القلوب ومرآة النفوس وهو يعبّر عن الخلجات الغامضة، ويكشف الأحاسيس العميقة، فهو يخاطب وجدان الإنسان ويغوص في أعماقه ليعبّر بلغة شعريّة عمّا تختزنه النفوس، ويجب أن يعتمد الشاعر على الألفاظ الرشيقة والتشبيهات البليغة والموسيقا الّتي تخلق إيقاعاً جميلاً، وكذلك على تصوير ذلك تصويراً دقيقاً."[6]

لقد أبدع الشاعر نزار قباني في تشكيل اللغة اللونية الشعرية وخلقها التي تعتمد على التشكيلات الإبداعية الدلالية، وغاية هذه اللغة هي غاية جمالية تستخدم الألفاظ العميقة لتكوّن الدلالة الشكلية والمضمونية.

"إذن فإنّ اللّغة الشّعريّة هي ذلك الوعاء الذي يحمل مشاعر الشاعر وأحاسيسه. فهي نتاج تلاحم وانصهار اللّفظ مع المعنى مكوّناً نسيجاً جديداً أو مولوداً جديداً نسميه النص. فقد تمخّض هذا النصّ من رحم دلالات لغويّة بديعيّة واتّحاد بين التعبير والمضمون في إطار البيئة التجريبية للشّاعر فهي مزيج لفنون وآداب وتجارب مرّ بها الشاعر واختزلها في عقله الباطن. فما يطرحه من الأطروحات والانفعالات في نصوصه ما هي إلّا تراكمات لغوية يختزنها الشّاعر في مخزونه اللغوي فيعبّر عمّا يختلجه وينتابه. وهي جسر بين الشاعر والمتلقي ينقل خلالها عواطفه وقلقه وتأملاته. فهو يتعدّى التقريريّة ويمضي بنا قدماً نحو التعبير عن خلجاتنا، وما يحتويه من دفء وحنان ورضى وغضب وشوق ووله وشموخ وكبرياء في حسّ شاعري بين الخيال والواقع وبين الوعي واللاوعي."[7]

وإنّ الدراسة المعمقة لأشعار نزار قباني تدخلنا في طيّات طريقة استخدامه للغة اللونية المختلفة لتوافق الحالات الانفعالية والشعورية الكامنة في نفس الشاعر.

والمعجم الشّعري للغة اللونية عند نزار قباني هو المتن اللغويّ الذي يكوّن الكلمات والمفردات التي استعملها الشاعر في نصّه المدروس التي تشكّلت من خلال ثقافته ومحيطه الاجتماعي الذي عاش فيه، وهذا المعجم يتكوّن من شقّين، الأوّل: الشّقّ الكميّ، ويقصد به المفردات التي تكوّنت في فكر الشّاعر وذاكرته من خلال ثقافته وتجاربه الحسيّة، والشّقّ الكيفي، "ونقصد به كيفية تشكيل الشاعر لهذه المفردات في النّصّ."[8] واللون الفني التي تتسم به لغة نزار قباني اللونية الشعرية يتّصف بالاستمرارية والحركية، فهو دائم متجدّد ومتطوّر في آن معاً.

اعتمدت كثير من الدراسات على الجانب الكميّ من المفردات والتراكيب التي يستخدمها الشاعر نزار قباني؛ "وقد أجمع الدارسون على محدوديّة ذلك المعجم الشّعري عند نزار قباني. ويجب الإشارة إلى أنّ قضية اتهام الشّعراء المعاصرين بضيق المخزون اللّغويّ هي قضية قديمة جديدة لا تقتصر على الشّاعر نزار قباني فقط، وقد بنى عليها الدارسون آراءهم، فوصفوا المعجم الشعريّ لدى الشعراء المعاصرين بأنّه قاصر عن أداء وظيفته ووقوعه بالتكرار"[9]، وإنّ استخدام اللون في شعر نزار قباني لم يكن مصطنعاً، بل كان من صميم العملية الشعرية التي كان لابدّ أن يوظّفها للتعبير عن ألوانه وأطيافه النفسية والاجتماعية والمعيشية التي كان يريد أن يوصلها للقارئ.

ولعلّ أكثر الدارسين العرب أخذاً بهذا الرأي إبراهيم السامرائي "إذ يشير إلى المعجم الشعري لديهم ويؤكّد ذلك بقوله: ولو قمت ببحث جديد لتعرف زاد أصحابنا هؤلاء فأحصيت الكلم في شعرهم، لوجدت أن معجمهم صغير، قليل المواد، بضاعة مزجاة، فكيف يكون لغير واحد من هؤلاء أن يأتي بالأدب العالي في فكره وديباجته، ورصيده اللغويّ لا يتجاوز مائة الكلم، ثمّ إنّك إذا أطلت النّظر في هذه المائة من المواد، وجدت أنّ شيئاً منها قد عُدّل عن جهته، فلم يتبيّن صاحبنا معناه. "[10]

فقد تتداخل المفردات في شعر نزار قباني لتشكّل نسيجاً يعبّر عن نسقية النمط الشعري عنده الذي يركّز على موسوعية الأنماط الثقافية التي نجدها في أشعاره.

"وبقي هذا الرأي متداولاً بين كثير من الدارسين حتى صار التسليم بحقيقته لا يأتيه الباطل، لذلك صار من المألوف أن تسمع بمحدودية معجم الشاعر المعاصر مقارنة مع الشعر العربي القديم، على الرغم من أننا نرى أنّ الفرصة متاحة للشاعر المعاصر لكي يستفيد من اتساع المعرفة الحياتية والتقنية الاتساع لمعجمه اللغوي، وبالتالي فإنّ مشكلة الشّاعر المعاصر مع اللغة. "[11] كما يرى الشّرع " ليس بسبب ضيق المخزون اللغوي، ولكن بسبب إحساس الشاعر أنّه يتعامل مع لغة وظّفت ما لا يحصى من المرّات لاستيعاب هموم خاصّة، أو هموم محليّة قد لا تتجاوز هموم الفرد أو القبيلة، أو أنّها وظفت لحمل فكر قد لا يتّفق وفكر الشاعر المعاصر، أو أنّها وظّفت أنساقاً أو أنماطاً مكرّرة لا يزيد نمط شوقي على النمط اللّغوي الشّعريّ للبحتري أو ابن زيدون أو أي نموذج شعري على هذه الشّاكلة. "[12] وإنّ استخدام اللغة اللونية الشعرية في حقل الإبداع الثقافي هو إعمال للمنطق والفكر مرتين، بسبب رسم جمالية الصورة اللونية في العقل بعد ربطها بالدلالات الشعرية الثقافية المدركة، وإثارة الصورة البصرية الشعرية المتخيلة لهذه اللغة.

وهذا ما دفع أدونيس إلى الإشارة في حديثه عن تجربته إلى أنّ "أول ما أفعله أن أفرغ هذه اللغة من محتواها، وأحاول شحنها بدلالات جديدة، تخرجها عن معناها الأصلي. ثانياً: أبدّل علاقاها بجاراتها. ثالثاً: أغيّر جذرياً النسق الموضوعة فيه، وبهذه الأفعال الثلاثة يخيّل إليّ أنّه يمكن أن نبتكر لغة جديدة، وهذا ما يفصلني في الواقع عن الاستجابة لدى من لا يستطيع أن يتلقّى خارج ماضيه."[13] و"إنّ أولّ من أشار إلى محدودية معجم نزار باني هو الباحث منير العكش في كتابه (أسئلة الشعر) الذي أشار إلى أنّ عدد مفردات نزار قباني لا تزيد عن مائتي مفردة"[14]، وقد انتشر هذا الرأي بين الدارسين انتشاراً كبيراً، على الرّغم من أنّ عمله لم يكن إحصائيّاً، ويرى الباحث النابلسي "أنّ لغة نزار هي لغة الجسد والشهوة فقط."[15]

فالشاعر نزار قباني مثل الرسام يتعمّق في لوحته الشعريّة ليبثّ لنا ما في دواخله من مشاعر، وكان نتيجة ذلك اعتماده على تكرار اللغة اللونية ليطرح أمامنا أفكاره واتجاهاته التي خاضها في هذا المسار، فقد لعبت الألوان الفنية في شعر نزار قباني دوراً محوريّاً في إيصال الفكرة المرادة للقارئ.

ويذهب فضل في دراسته الأولى إلى القول عن معجم نزار قباني: "والأهم من ذلك ما يكادون يجمعون عليه من محدودية هذا المعجم، إذ يدور في جملته حول مائتي كلمة فحسب، الأمر الذي يمكن أن يجعل شعر نزار قباني يمثّل أدنى نسب المفردات، وأعلاها في درجة التكرار."[16]

فهو عندما يستعمل الألوان الشعرية في كتاباته كأنّه يرسم لوحة متكاملة تتفاعل فيها الأنغام والألحان والصور والأشكال لتكوّن منحوتاً دلالياً فنّيّاً لونيّاً يجمع في طيّاته دلالات متنوعة ومتطورة من الألوان كلّها.

ونميل إلى الأخذ بتفسير أحمد بسام ساعي عندما قال: "إنّ لكلّ شاعر معجمه الشعريّ الخاصّ، يكرّر ألفاظاً يتكئ عليها في أكثر قصائده، ويسوق عبارات نجدها في أماكن عديدة من شعره، ولكن من الشعراء من تكون ألفاظه (حادّة المذاق) يبقى أثرها طويلاً في لوحة النفس بسبب الشحنة الشعريّة القويّة من ناحية، وبسبب امتيازها الحادّ عن ألفاظ الشعراء الآخرين وعباراتهم من ناحية ثانية، فإذا تكررت عند الشاعر نفسه بعد ذلك أحسسنا برنينها القديم ما يزال في آذاننا، وأدركنا بسرعة البديهة، أنّ تشابهاً ما قد وقع بين هذه القصيدة وما سبقها من قصائد للشاعر، ويمكن أن نقول: إنّ ألفاظ نزار قباني وعباراته في معظمها من هذا النوع (الحادّ الطعم) وما أسهل اكتشاف التشابه والتكرار عنده لهذا السبب"[17].

وتعدّ المفردات اللونية عند الشاعر نزار قباني أمراً نسبيّاً وواقعيّاً، فهو يعتمد على جاذبية الألوان ليوظّفها بدلالاتها المختلفة لتعبّر عن أعماق المعاني التي يريد إيصالها بحنكة وعبقريّة فذّة، ولمّا كانت الحالة الشعريّة الشّعوريّة لدى القارئ تتأثّر بالمفردات الرنانة البسيطة القريبة من لغة الناس التي تتسم بالإضاءة واللون الملموس الحيّ، كان لابدّ للشاعر من معرفة أهمية اللغة اللونية وأبعادها الأسلوبيّة والشّكليّة والمضمونيّة التي تتناسب مع التجربة الشّعريّة الّتي يمرّ بها الشّاعر.

فقد "كانت مفردات نزار قباني التي اختارها من المعاجم بعيدة عمّا هو غريب وحوشي ووحشيّ من الطبيعة، فلم يأبه لجزالة اللفظ ولا لفصاحته، وإنّما كان منذ بداياته الشعرية ينتقي مفرداته بعين صائغ خبير، فمفرداته في تنافس شديد على عرش الجمال، استبعد كل مفردة غريبة وإن كانت جزلة، وكأنه استهدى إلى معجمه من مبدأ جبران في مقالته التي ردّ بها على المتعنتين الجامدين" لكم لغتكم ولي لغتي"، فابتعد عن المفردات التقليدية، ولجأ إلى مفردات الحياة اليومية ينهل منها حتى الارتواء، وتبدو المفردة التي تتصل بالجسد وما يتّصل به بصورة جلية، وخاصة في بدايات نزار قباني (قالت لي السمراء وطفولة نهد وسامبا وأنتِ لي) التي بدا فيها نزار قباني بأنه شاعر الأنثى بلا منازع، فكانت غنية بالمفردات التي تعود إلى حقل الجسد الأنثوي"[18]

لم يكن اللون الشعري عند نزار قباني لوناً جسديّاً فحسب، بل كان أيضاً لوناً روحياً نفسيّاً يحقّق الجانب العميق، وقد امتزج بالحالة الشّعورية التي عاشها الشاعر في مراحل حياته، الدّالة على الحبّ أو الحرب أو المواقف الوطنيّة والسياسيّة، ليدخل لون نزار قباني مع هذه الأمور كلها، فيخرج مولوداً من رحم الأحداث، والمواقف الشعرية، فالحبّ هو لون شعريّ، والإصرار هو لون أيضاً، والوقوف وقفة محدّدة من أيّ شيء في هذه الحياة هو لون فنّيّ أيضاً.

"وهذا يتّحد مع ما نراه من نماذج عند السياب في صورة بدائية تعطي تصوراً عن إحساسه الصاعق بالطبيعة وخاصّة بالنساء الجميلات الرشيقات: الصّدر، الركبتين، الحلمات، الشعر، العنق، والتي من دونها لا يمكن إبداع المنظر الخارجي للمرأة"[19] ، "أو بالمفردات التي تتّصل بمتعلقات الأنثى كلباسها وأدوات زينتها (الجوارب والدانتيل وثوب النوم الوردي والمانيكور والمايوه الأزرق وأحمر الشفاه...إلخ)، والمفردات تنتمي إلى حقل النباتات العطرية والجمالية والأشجار (الورد الدمشقي والبنفسج والفل والياسمين والزنبق السنديان والنخيل والنارنج والنعناع والحبق والشربين والريحان المنثور والآس والأقحوان غارديليا الصفصاف)، أو مفردات تتصل بحقل الطيور گ (طاووس وحمام وعصفور وبليل وشحرور وبجع بحريّ...) أو بالألحان گ (الرصد والحجاز النهاوند...إلخ)."[20]

وتأتي جمالية اللغة اللونية للشّاعر نزار قباني من كونها اعتصاراً لمكنونات النفس الإنسانية وإخراج أعمق وأسمى ما فيها.

"وهكذا كان معجمه الفصيح يمثّل الجسدية والجمال، وهذا من أهم جماليات القصيدة النزارية التي تكشف الرؤيا في مرحلتها الأولى حينما اتصلت بجسد المرأة متعلقات هذا الجسد، ويبرز في هذه المرحلة تلوين الخطاب النزاري بالمفردة العامية، ذلك أن جمهور نزار وقارئيه ما هم إلّا عامّة الناس، فأراد أن يكون خطابه قريباً لهم ومن لغتهم التي يمارسونها يومياً:"[21]

"على كرّاستي الزرقاء..
أسترخي على كيفي..
وأهربُ من أفاعي الجنس
والإرهاب.. والخوف.."[22]

فالأسلوب الشعري يمكن أن ينبثق أحياناً من الألم أو الخوف الذي يثور على مجريات الحياة كلّها التي تدفع بالإنسان إلى معرفة معنى وجوده ليستطيع الاستمرار والصمود أمام ظروف حياته عامّة.

فمفردة الكيف تعني المزاج وتركيب على كيفي متداول في بلاد الشام بكثرة، ثمّ يستعمل مفردة (كرمال) بمعنى (من أجل):

"كرمالُ هذا الوجه والعينين
قد زارنا الربيع هذا العامّ مرتين"[23]

لقد أدرك نزار بذوقه الحسيّ الشّفّاف قدرة الكلمة البسيطة والأسلوب السهل على التأثير في قلوب متلقيه والدخول فيها، فسعى جاهداً إلى التواصل معهم "بلغة سهلة غنيّة بالصور والإيحاءات؛ لغة ليست غريبة عن الناس، استطاع أن يجعل من المفردة العامية مفردة فصيحة فهو خير من طوّع العامية للشعر الفصيح، كما أنّه خير من طوّع الفصحى للعاميّة، من غير أن يخرج عن حدود الفصحى."[24] "كما قدّم تناغماً من التأليف الصّوتي شكلاً ونموذجاً محدّداً، ثمّ إنه كان مغرماً باستخدام المفردات الأجنبية معرّبة أو غير معرّبة گ (سمفونية وتلفون ومانيكور ومايوه سوناتا وتوليب غارديليا)، وقد جاء هذا الاستخدام قليلاً في بدايات نزار قباني الشعرية، ولكنّه تطوّر مع تقادم تجربته نتيجة التقائه مع الثقافات الأخرى. "[25]

فالحياة تحتاج إلى تماذج ألوان الصور الشعرية وتكاثفها حتّى تعطي رونقها وشكلها المميز، فمن دونها لا نستطيع روية الأشياء على حقيقتها الكونية التي تميزها من باقي الأشياء الأخرى.

"ويلاحظ القارئ بدء الشاعر نزار قباني الالتفات إلى هذا الجانب منذ زمن مبكر، حتّى إنه في مجموعته الرابعة "أنت لي 1950م" يرفض في إحدى قصائده ما عملته حبيبته حينما قلدت الشبان، وقصّت شعرها الطويل، وكأنها قامت بعمل جنوني أساء إلى أنوثتها الباذخة، بل حذفها من الحياة، وحوّلها إلى امرأة حمقاء، فأنهى قصيدته بهذه الخاتمة الغاضبة:"[26]

ونزار قباني بما يمتلك من سليقة شعرية وشاعرية أدرك أهمية تطويع لغته اللونية لتشكيل التقنية الشعرية والجمالية المنبثقة من وحدات لغوية ولونية مشتركة، وقد استخدم اللون الجماعي والمجتمعي لتصوير مكنوناته النفسية التي يريد إيصالها للجماهير.

فالشعر كباقي الفنون الأدبية هو وسيلة لتفريغ الشحنات المتراكمة عند المبدع، فهو يريد أن يعرض أمامنا تجاربه الحسية التي مرّ بها افتراضياً أو واقعياً، لذلك يجب أن يكون الشعر قريباً من الناس وهمومهم ويصوّر قضاياهم ومشكلاتهم التي يحاول الشاعر أن يوصلها من خلال إبداعه الشعري ولونه الفني الذي يلامس مشاكل شعبه فهو منهم ووطنهم وطنه وقضيتهم قضيته.

ويرى الشاعر نزار قباني الاعتماد على لغة ثالثة فيقول: "وكان الحل هو اعتماد لغة ثالثة تأخذ من اللغة الأكاديمية منطقها وحكمتها ورصانتها، ومن اللغة العامية حرارتها وشجاعتها وفتوحاتها الجريئة. بهذه (اللغة الثالثة) نحن نكتب اليوم، وعلى هذه اللغة الثالثة يعتمد الشعر العربي الحديث في التعبير عن نفسه، دون أن يكون خارجاً عن التاريخ.. ولا سجيناً في زنزانة التاريخ.."[27]

هكذا هو الشاعر يحاول أن يشير من خلال لغته اللونية الشعرية إلى حالة الجماهير الشعورية والنفسية بطريقة مبتكرة يعبّر من خلالها عمّا يعتلج في دواخلهم من مكنونات خفية.

"فاللغة الشعرية هي أداة اتصال شعبي؛ لإيصال الأفكار التي كان يريد أن ينقلها للجماهير في الحب والسياسة، ولهذا فهو يكتب شعره في شكل منشورات، "فقد كان يجد أنّ الشعر لا يتشكّل إلا ملامسة الناس، لذلك فقد مال إلى البساطة والمباشرة التي لا تعني السذاجة."[28]

فالناتج الشعري يصلنا بعد محاولات عديدة يستعمل فيها الشاعر الرّمزيّة والتشبيه والاستعارة، وأنواع المجاز الأخرى ليعكس أشكال التعبير الشعري وأساليبه المتعددة الّتي تعبّر عن التأمّل والتمعّن والإصغاء إلى ما يجول في النفس وتبصّرها.

"أحبّك..لا أدري حدود محبتي
طباعي أعاصيرٌ.. وعاطفتي سيلٌ
وأعرف أنّي متعبٌ يا صديقتي
وأعرف أنّي أهوجٌ..أنّني طفلُ"[29]

"وتبدأ هذه النقلة في بدايات تجربة نزار قباني، لكنّها في المراحل التالية تصبح صفة من صفات المشروع للشاعر، وهي سمة يتحلى بها الأسلوب الشّعريّ عند نزار قباني."[30]

كلّ هذه هي محاولات شعريّة للتعرّف على كينونة ذات الشاعر التي تخلق عنده إدراكاً عميقاً وحالة عاطفية لوجود التفاصيل المطروحة في القصيدة كلّها.

**3.صورة التّكرار اللّغويّ في شعر نزار قباني:**

يعدّ التكرار "بدلالته الواسعة القانون الأساس لظواهر الإيقاع في الكلام، وهو مظهر جمالي يعتمد على قوانين ثانويّة، وهو علاوة على قيمته الإيقاعية النغمية ذو دلالة تعبيرية كما أنّ قانون التكرار ينظّم معظم أساليب التعبير القائمة على الاهتمام باللفظ أو ما يسمّى بالمحسنات البديعية."[31]

"إنّ القيمة الأسلوبية التعبيرية تفرض وجود طرائق عدة للتعبير عن الفكرة نفسها، وهذا ما نسميه بالمتغيرات الأسلوبية التي تشكّل كلّ واحدة منها طريقة خاصّة للتعبير."[32] "بمعنى أنّ استحواذ فكرة معينة على فكر الأديب تجعل منه يجد البحث عن أسلوب أو طريقة تفرضها عليه الفكرة من أجل عرضها ضمن سياق يجعل المتلقي يتعامل معها حسب وضوحها أو غموضها وحسب السياق التي ترد فيه."[33]

ومن هنا فإنّ استعمال التقنيات المتعدّدة للتّكرار والتي فيها إشارات الاستفهام أو علامات الترقيم أو الكلمات أو الحروف أو الجمل أو المضمون أو الشكل ما هي إلا مقولات ووسائل مرئية ومعلنة من قبل الشاعر.

"فالتكرار مثلاً يحدث أثراً موسيقيّاً سواء أكان هذا التكرار للأصوات أم للجمل، وقد يكون في هذا الأثر الموسيقي الذي يحدثه التكرار دور بنائي في بلورة التجربة وتكثيفه."[34]

"فهو يعطي الشعر معنى واضحاً في مبناه، إضافة إلى إخصاب شعرية النص ورفده بالبث الإيحائي والجمالي، إذ يعد شكلاً صياغياً داخل بنية موسيقية هي بنية التماثل التي تسهم في إنتاج الشعرية باحتوائها على قيم إيقاعية واضحة، والإيقاع بطبعه توّاق للحلول في منطقة إيقاعية "[35] ، أمّا على مستوى المبنى "فإنّه يسهم في بناء القصيدة وتلاحمها ، بما يلحقه أو يكشفه من علائق ربط وتواصل بين الأبيات أو الأسطر، فالتكرار خاصية لغوية تتحوّل عبر النسق العلائقي الذي يوفره السياق إلى عاطفة مشحونة بالإيحاء والتوتر، والشحنة العاطفية هي التي تقود المتلقي لعبور النص عبوراً جمالياً موفّقاً."[36] وعلى المستوى الدلالي النفسي "فإنّ التكرار من أهم الأساليب التي تؤدي إلى وظيفة تعبيرية في النص، إذ إنّه يوحي بسيطرة فكرة العنصر المكرّر على نفس الشاعر."[37]

"ولعلّ ظهور التكرار في أساليب الشعراء المعاصرين من الأمور التي نبّهت بعض النقّاد منذ بداية حركة الشعر الحر، وجعلتهم يقفون عليها مؤكدين على دقّة استخدام هذا الأسلوب ودوره في النهوض بالقيمة الجمالية للعمل الإبداعي، أو الحطّ من شأنه على حدّ سواء."[38]

وهكذا يخوض الشاعر من خلال تكرار الكلمات والمفردات والجمل في مسيرته الشعرية اللونية التي يعبّر بها عن أفكاره وتصوراته.

"وعلى هذا لم يعد التكرار في القصيدة الحديثة مجرّد أسلوب من شأنه أن يعيب النّصّ الشّعريّ في موطن من مواطنه كما كان قديماً، إنّه نقطة مركزية في القصيدة التي تحتويه، وبه ترتبط كثير من الدلالات والأفكار عبر الخيوط التعبيرية المختلفة."[39] "وكيف لا يكون التكرار هكذا والقصيدة قائمة في الأصل على تكرار تفعيلة واحدة من بدايتها وحتّى النهاية."[40]

"ولعلّ من الذين أدركوا هذه الحقيقة الشكلانيين الرّوس عندما نظروا إلى أنّ التكرار أحد النقاط المركزية التي يقوم عليها المنجز الشّعريّ، فتصوّر التّكرار كأساس من أسس بناء النص الشعري وهو ما اتّفق عليه كبار

الشكلانيين ابتداءً من (رومان جاكبسون) ثمّ (يوري لوتمان) ووصولاً إلى (هوبكنز) الذي عرّف البيت الشعري"[41] بأنه "خطاب يعيد الصورة الصوتية نفسها بصيغة كليّة أو جزئيّة."[42]

تبدو ظاهرة التكرار بوصفها صفة واضحة من صفات تجربة نزار قباني الشعريّة ولغته اللونية الجمالية في المرحلة الشعرية الأولى، "واستمرّت حتّى مراحل متقدمة من إنتاجه الشّعريّ، ويبدو فيها مغرماً بتكرار الحروف والأفعال والجمل."[43]

ونلاحظ تأثير أسلوب التكرار الشعريّ ومفعوله الفني والنفسيّ في بناء القصيدة المعاصرة عند نزار قباني بما له من أبعاد تعبيرية في اللّغة الإنسانيّة.

"ومن ذلك تكرار واستخدام اسم الإشارة تأكيداً وزيادة للذبذبة الشعرية، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى لفت انتباه القارئ أو المتلقي تركيزاً للمعنى المتضمن في الكلمات. "[44]

ومثل ذلك تكرار الجملة (أخبروني) على لسان حبيبته :

"أخبروني بأنّ حسناء غيري
يا صديقي، لديكَ حلّت محلّي
أخبروني بالأمسِ.. عنكَ وعنها
فلماذا يا سيدي لم تقل لي؟
ألف شكرٍ يا ذابحاً كبريائي
أوهذا جواب حبّي وبذلي؟ "[45]

"ومرة أخرى تبدو ظاهرة التكرار سمة غالبة على شعر نزار قباني، بوساطته يعلن الشاعر الفراغ في حياته الذي سببه غياب المرأة من حياته، فالمرأة عنده هي كل شيء، هي الملكية، هي الزهور، هي الثقافة، وفي استخدامه لآلية التكرار ينفي وجود هذه الأشياء بغياب المرأة، فالمرأة دخلت حياته وأصبحت ورقته وعينه ورأسه ووسادته، وتتضح من خلال التكرار مساحة المرأة عنده، وهذا تأكيد لما ذهبنا إليه في كشف الرؤيا من أنّه جعل من المرأة قبلة يتجه نحوها في حلّه وترحاله:"[46]

وقد أنجز الشاعر نزار قباني نقلة ديناميكية انفعالية على هيكل اللغة اللونية وجماليتها عنده يمتزج فيها الحسّيّ بالحركيّ، ويتساوى فيها الخاص مع العامّ ليكوّن جمالية اللون الشعريّ التي يعبّر عنها من خلال شعره.

**4.مفهوم الصّورة اللّغوية في شعر نزار قباني:**

إذا درسنا الصورة اللونية في شعر نزار قباني "فإنّنا نجد بيئة خصبة للدّراسة، ذلك أنّ اللون يعدّ من أهم عناصر الجمال وعلى الرغم من تمازج الألوان وتعددها في حياتنا بما تزخر به الطبيعة متمثلة بألوان السماء والبحر والأرض والزهر والنبات، فقد ظلّ الإنسان يضفي على الحياة طابعاً متجدداً، ويضيف إليها من إبداعاته ممّا جعل الحياة لا تبدو فقط باللون الأبيض والأسود، فلا تكاد تتخيل حياة من دون ألوان، والشّعر قيمة جمالية من دون أن يتّخذ الصّورة وسيلة من وسائل الإبداع، لذا فإنّ الصور تعتمد اللون للتعبير وإضفاء الدلالات الخاصة، واللون قد يدخل في تكوين الصورة ليكشف في مدلوله ويخترق النفس ويثير المشاعر والأحاسيس المختلفة من فرح وحزن، فاللون له تأثير في بناء الصورة الشعرية، فالألوان والأشكال والحركات جميعها تنتج

الصورة الشّعريّة بإيحاءاتها ودلالاتها"[47] وقد أدرك نزار قباني الأهمية الدلالية للألوان في تشكيل الصّورة اللّونية للشعر وإضفاء الإيحاء المناسب للرؤيا الشعرية الإيحائية.

إذ يتدرج من اللون الجنسيّ الصّارخ إلى إرادة ورغبة الشاعر نزار قباني به فإنّنا نجد أنّ لديها القدرة على إثارة المشاعر والأحاسيس وتذاوب الفكر بالصور عبر علاقة خفيّة من التناغم والتوافق والانسجام.

"فيما نجد اللون السّوداوي يتكرّر بحيويّة أكبر في الخطاب الوطني، بما يحمل هذا الخطاب من سوداوية الواقع العربي الذي عانى من سلسلة من الهزائم والانكسارات."[48]

"من لثغة الشّحرور، منْ
بحّة ناي محزنهْ
من رجفة الموال، منْ
تنهدات المئذنهْ
من غيمة تحبكها
عند الغروب المدخنهْ
وجرح قرميد القرى
المنثورةِ المزينهْ
من وشوشات نجمة
في شرقنا مستوطنهْ
من قصّةٍ تدورُ
بين وردةٍ...وسوسنهْ"[49]

"إضافة إلى الطبيعة وعناصرها، فإنّ الجمال مرتبط ارتباطاً أصيلاً بالمرأة. فهي رمز الجمال في كلّ زمان ومكان، ولم يتوقف الشّعراء عن التّغزّل بجمال المرأة منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا، فراح شاعرنا عاشق الجمال يتغنى بكلّ ما يتعلّق بالمرأة. ولم يقتصر على وصف جمالها الجسدي، كما ألفنا عند الشّعراء السّابقين عليه، بل ملأ مجموعاته الشّعريّة الأولى بقصائد كاملة أفردها لتصوير جمال الأشياء الّتي تتعامل معها المرأة في حياتها اليوميّة، مثل: الشّال والعقد والقميص والتّنورة المزركشة والخفّ الصّغير والصّندل وغيرها، مسبغاً عليها من حسّه الفنّيّ المرهف، ومهارته الفائقة ما جعلها تفتن القراء والمستمعين على امتداد الوطن العربي كلّه."[50] فضلاً عن تصويره لأماكن الحياة الزراعية التي تنبض بالحياة.

"إلا أنّ الإنجاز الأكبر لنزار قباني في هذا المجال، هو أنّه استطاع تغيير صورة المرأة الّتي تُظهرها في شكل ضبابي غير محدّد الملامح، لأنّها تعكس المثال الّذي يخلقه خيال الشّاعر أكثر من أن تكون صورة لامرأة حقيقية من لحم ودمّ، يعيش معها الشاعر تجربته الخاصّة. أمّا عنده فقد بتنا نلتقي بنماذج عصريّة من النّساء اللّواتي يبدع في رسمهنّ، وفي رصد أحوالهنّ المتعددة، ومشاعرهنّ المختلفة."[51]

فيجعل الشاعر نزار قباني المرأة تنطق بكلماتها لتعبّر عمّا في نفسها من أحاسيس ومشاعر مختلفة بحرية تامة ومساواة مع الرجل في البوح والحب من دون خوف من المجتمع وتقاليده ، ولكنّ هذا الامر كان مبالغاً فيه عند الشّاعر فنجدها أمام امرأة محررة تماماً من كلّ القيود وأقرب إلى الفجور وهذا يؤخذ على شاعرنا لأنّه لا

يجعل المرأة متحررة بالمعنى الدقيق للكلمة، لأنّ الحرية الحقيقية هي مسؤولية وحرص على الأخلاق وكيفية الحبّ في جوّ مقبول من الاحترام لذات المرأة وكيانها.

يختار نزار قباني الصور الشعرية اللونية التي تعبّر عن صوت لصدى أمّته الانتمائي التي لا ترضى بالذّل والخضوع والاستسلام، بل تثور ضد الظلم لتحصل على العيش الكريم الذي هو من حقوقها المفروضة وليس تفضّلاً من أحد عليها.

ولكن أهم نقلة نوعية أنجزها نزار قباني على جسد اللغة تمثلت في التجسيم الحسيّ الذي أجراه على معجم السياسة من حيث ألفاظ تتداول ومتصورات يحكي بها الإنسان شأنه، ويصوّر قدره، ويسرد قصته في انسياب دراميّ.

"ولعلّ البعد النفسي من أهمّ العوامل التي أثّرت في بناء الصّورة عند نزار قباني وعند العديد من الشعراء، ذلك أنّ الأساس في الصورة هو اتّحاد الانفعالات الداخلية في نفس الشّاعر مع الحسّ الشّعريّ، ومن الواضح ارتداد الشاعر نزار قباني في شعره إلى مرحلة الطّفولة، مرحلة النقاء والطهر، فأشار في غير موضع إلى هذا الارتداد كما في قوله (عائد إلى محارتي، عائد إلى سرير ولادتي) وتساءل نزار كثيراً (هل خرجت حقاً من بطن القيروان؟)، ولعلّ هذا النكوص يتّصل بشكل أو بآخر بإشكالية الانتماء التي توصّل إليها نزار في كثير من الأحيان حينما نلتمس في شعره الاغتراب والتمرّد والعدوانية تجاه أمته عندما يتلمس أوجاعها غير أنّها عدوانية تشبه غضب الأم على ابنها وضربها له تأديباً."[52]

وقصيدة (الديك) التي تحفل بالصورة الساخرة؛ "إذ إنّ في طبيعة السخرية ذاتها، في جوهرها الدّاخليّ، يكمن حسّ الرّوح الشّعبيّة والكفاح من أجل اجتثاث الأمراض الاجتماعية والقضاء عليها."[53]

"في بلدتنا..
يذهب ديك.. يأتي ديك..
والطغيان هو الطغيان.
يسقط حكمٌ لينينيٌّ..
يهجم حكمٌ أمريكيٌّ..
والمسحوق هو الإنسان..
حين يمرُّ الديكُ بسوقِ القرية
مزهوّاً، منفوش الريش..
وعلى كتفيه تضيءُ نياشين التّحريرْ
يصرخ كل دجاج القرية في إعجابْ:
يا سيدنا الديك.
يا مولانا الديك.
يا جنرال الجنس.. ويا فحل الميدان..
أنت حبيب ملايين النسوان."[54]

إنّ الشيء الأساس في الصّورة اللّونيّة الشّعريّة هو اندماج الانفعالات الحسيّة للشّاعر مع إحساسه الشّعريّ تجاه القضية التي يتبناها، يقول في قصيدة جميلة بوحيرد:

"إبريق للماء.. وسجّان
وامرأة في ضوء الصبح ..
تسترجع في مثل البوح
آيات محزنة الإرنان"[55]

"يرسم نزار قباني صورة كليّة ممتدة عبر أبيات القصيدة كاملة وفي مقاطعها صورة للسجينة المناضلة جميلة بوحيرد، من خلال مشهد السجن من الدّاخل، مانحاً هذه المناضلة بارقة الأمل برحيل الفرنسيين عن الجزائر"[56] وحتمية انتصار العدالة. وقد كانت عناصر الصورة متنامية من صوت ولون وحركة، وتصف (جميلة) تحت آثار التعذيب:

"انتصروا الآن على أنثى..
أنثى كالشمعة مصلوبهْ
القيد يعضّ على القدمين
وسجائر تُطفأ في النهدين
ودمٌ في الأنف..
وفي الشفتين..
وجراح جميلة بوحيرد
هي والتحرير.. على موعد..
مقصلةٌ تنصب.. والأشرارْ
يلهون بأنثى دون إزارْ
وجميلة، بين بنادقهم
عصفور في وسط الأمطار..
الجسد الخمريّ الأسمر
تنفضه لمسات التّيارْ
وحروق في الثدي الأيسر
في الحلمة..
في..في.. يا للعار.."[57]

إنّ صورة (جميلة ) وهي تحت التعذيب مستعدة للتضحية بحياتها في سبيل نصرتها وانتصارها.

وتتحقق الصّورة من عناصر عدّة:

الصوت: صوت العذاب، صوت الألم وصراخ (جميلة)، صوت اللهو.

اللون: لون الدم، لون الشمعة، لون جسد (جميلة)، لون الشرار والنار.

الحركة: حركة إطفاء السجائر في جسد (جميلة) ورعشتها عندما صعقوها بالكهرباء.

ويبقى الشاعر في غير موضع يعبّر عن تعذيب الجسد الخمري الأنثوي المليء بالدماء الذي هدّه الصّلب والقيد الذي يُدمي جسدها.

"إنّ طبيعة الصورة الشعرية في تكوينها يجب أن يتجاوب أصداؤها في كلّ مكان في القصيدة فإذا انفصلت الصورة الجزئية عن مجموعة الصور الأخرى المكونة للقصيدة فقدت دورها الحيوي في الصورة الكلية أو العامة للقصيدة، لذا يجب أن تتساند مجموعة الصور لتكون صورة خص متفاعلة، وهذا يتّضح في قصيدة( الممثلون)، ففيها تنبثق الصورة الشعرية بموجب فعلين: استجلاب العبارة أنّى تشيع في خطاب السياسة وقنوات الإعلام وسطور الصحافة، ثمّ سكبها في الدلالة الحينية التي تجرّ أوزار التاريخ في إيحاءاتها لفظاً وتمدناً. وعلى هذا النسق تسير قصيدة "الممثلون:"[58]

"حين يصير الفكر في مدينةٍ
مسطحاً كحدوةِ الحصانْ
مدوّراً كحدوةِ الحصانْ
وتستطيعُ أيّ بندقية يرفعها جبانْ
أن تسحقَ الإنسانْ"[59]

ويلاحظ الدّارس شعر نزار قباني كثرة الدّراسات التي تناولت أدبه عموماً، تعود إلى دوافع متباينة، وقد كانت شاملة أغلب الجوانب الأدبية، ومنها ما يخصّ الجانب الإنسانيّ التّحرّري في حياة الشّاعر، وما يُثيره من تجاذبات واختلافات وتحولات، وما يحيط به من تناقضات وتحفظات.

"وهكذا تتوالى الصور وتسير لتحقق دلالات الموت والسجن والحصار، وتتردد أصداؤها في شتّى جوانب القصيدة بتفاعلها مع الصور الأخرى، (_هجرة الأشجار، هروب الأمكنة) أنّه هروب من الموت والحصار، وكلّ هذا خلق صورة نفسية موحدة، فالتفكير والصحافة والحرف كلّها من مكونات الفكر، ذلك الفكر الذي قاد الأمة إلى الولايات والهزائم المتلاحقة، إنّ مشكلة الأمة تنبع من فكرها، لذا صرخ نزار في حزيران، فقال:"[60]

"أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغة القديمة
والكتب القديمة
أنعي لكم.. أنعي لكم
نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمةْ"[61]

وفي موضع آخر:

أدور كالحبة في مسبحة الإمام
لا عقل لي..
لا رأس..
لا أقدام.."[62]

ثمّ يؤكد نزار على هذه الفكرة، فيقول:

الكلمة كانت عصفوراً..
وجعلنا منها..

سوق بغاء.."[63]

وتبقى الكلمة في هذا الوطن مشكلة كبيرة، مغلقة الحدود:

تحتاج الكلمة في وطني

لجواز مرور!!"[64]

ونلاحظ قدرة الشاعر نزار قباني على حياكة صوره الكليّة وتجلياتها اللّونيّة والشّعريّة وتطوّرها، فالجانب اللّغويّ والاعتماد عليه يجعل الصّورة الشّعريّة أكثر واقعيّة.

"ومن الواضح أنّ الصورة في شعر نزار قباني تنبثق من خطاب السياسة، فيصبها في وعاء الدلالة الحالية التي تعيدها إلى التراث التاريخي بتعدداته ودلالاته المتنوعة مؤكداً على حتمية التغيير من خلال بناء الصورة وترسيمها، فالأشجار تغادر هذي البلاد وتنخلع من جذورها، حتى الأمكنة لم تعد في أمكنتها، والحرف أفيون، والمفكرون يمارسون فعل البغاء واللواط، والفكر أفيون، التفكير فعل إجرام يمنعه القائمون على القانون."[65]

وممّا لاشكّ فيه أنّ لون التمرد والتحدي هو الذي صنع شعر نزار قباني وظلّت ترافقه في كافة مراحل تطوره، فهو يؤمن "أن كلّ كلمة يرسمها الشاعر على ورقة هي لافتة تحدٍ في وجه العصر، وأنّ الكتابة هي إحداث خلخلة في نظام الأشياء وترتيبها، هي كسر قشرة الكون وتفتيتها."[66]

وهذه الظاهرة متجذرة في شخصية الشّاعر منذ الطفولة، فقد أحبّ التمرّد في كلّ شيء، في حبّه، في أفكاره، في طريقة كسر الأشياء لكي يعرف حقيقتها، وعندما بدأ بالكتابة كان يؤمن أنّ الشعر هو الطريقة التي يستطيع من خلالها أن ينقل أفكاره وهواجسه إلى الناس.

"وهكذا لم يسكت شاعرنا ولم يهادن، بل بقي إلى آخر عمره يرفع راية التمرد والرفض، وبقي صوته يهدر في أرجاء الوطن العربي، كاشفاً النقاب عن حال المجتمع الذي يرزح تحت نير التجزئة والتفتت والجهل والفقر والمرض، ومندّداً بالعوامل التي أدّت إلى تخلّف الأمّة العربيّة، وعلى رأسها غياب الحريات، والإيمان بالخرافات والأوهام وتغييب العقل والعيش في الماضي، والاكتفاء باجترار أمجاد الأجداد وبطولاتهم، من دون السعي إلى مواكبة الحياة المعاصرة، ومن دون العمل على مجابهة تحديات الحاضر."[67]

وقد ظلّ شاعرنا يؤكد أنّ خلاص الأمة العربية يحتاج إلى جيل شجاع وغاضب:

"نريد جيلاً غاضباً

نريد جيلاً يفلح الآفاق

وينكش التاريخ من جذوره

وينكش الفكر من الأعماق

نريد جيلاً قادماً مختلف الملامح

لا يغفر الأخطاء...لا يسامحْ

لا ينحني... لا يعرف النفاق..

نريد جيلاً، رائداً، عملاقْ.."[68]

فقد كان موقف الشاعر نزار قباني هو الرفض والثورة على العادات والتقاليد والمعتقدات البالية، ففي قصيدته(خبز وحشيش وقمر) الّتي نُشرت عام 1954م أظهر أثر أصحاب السلطة ورجال الدين في التأثير على أفكار الناس البسطاء كما بيّن أثر الخرافات والتقاليد البالية في إلحاق الجهل والضّرر والاستغلال.

وتتطوّر الصّورة الشّعريّة في العديد من قصائد نزار قباني، وتتوالى القصائد الّتي تدلّ على السّياسة والقانون والمصادرة والابتلاء والتحقيق. وفي شعر نزار قباني العديد من هذه الصّور التي تبنى على انزياح اللغة، يقول نزار قباني في إحدى قصائده:

"زمانك بستان وعصرك أخضر

وذكراك عصفور من القلب ينقرُ"[69]

فالعصر أخضر يشبه النبات والزمان مليء بالأزهار مثل البستان، والذكرى عصفور، إذ يوحّد بين هذه الإيحاءات المفرحة لتدلّ على انزياح اللّغة.

**5.خاتمة:**

إنّ تطور الصورة اللّغويّة الشعرية عند نزار قباني كان يحتاج إلى فترات زمنية متعاقبة لكي ينشأ هذا التغيير في جمالية هذه اللغة وتطورها. "والتكرار في الفنّ هو الذي يمثل الجمالية الفنية، فهو مبدأ نمطي يسري في كلّ عصر، وفي كلّ زمان.

وقد أنجز الشاعر نزار قباني نقلة ديناميكية انفعالية على هيكل اللغة اللونية وجماليتها عنده يمتزج فيها الحسّيّ بالحركيّ، ويتساوى فيها الخاص مع العامّ ليكوّن جمالية اللون الشعريّ التي يعبّر عنها من خلال شعره. فقد وظّف الشاعر نزار قباني التكرار بكثرة للتعبير عن اللون الجمالي للغته الشعرية الخاصّة عبر مسيرة تتبعية وتعاقبية متطورة نفسياً واجتماعيّاً وفلسفيّاً.

إنّ صورة نزار قباني الشّاعرية تبرز ألواناً متنوعة من الأنماط اللّونيّة للشعر. فقد أجاد الشاعر نزار قباني العزف على أوتار قلب القراء العاطفي في صورته الشعرية اللونية حتّى صاروا من أقرب الناس إليهم، وأكثرهم فهماً لهواجسهم.

والشعر هو أسلوب من أساليب مجابهة الواقع الشعري والسيطرة عليه من خلال التعبير عنه وتعزيز أفعال الخير. وما دام الشّعر يمتلك مصداقية في التعبير عن شكل الحياة والمجتمع، وعن علاقاتهما المعقدة والطبيعية، فإنّه لابدّ من أن يمتلك هذا الشّعر خصائص تعبيرية وشعرية وفنيّة ومضمونية، ويتحقق ذلك عبر النظرة الموازية ما بين جنسي الشعر والموسيقا على اختلاف طبيعتهما ووظيفتهما.

**الهوامش**

[1] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، ط1، 2009م، ص121.

[2] . الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، مطبعة الجيزة، الإسكندرية، ط1، 1979م، ص8.

[3] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص121.

[4] . المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، الكويت، ط4، 1994م، ص207-208، 210.

[5] . بارت،رولان، الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة: محمد برادة، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، ط3، 1985م، ص60.

[6] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص122.

[7] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص123..

[8] . حبيب، بروين، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م، ص53.

[9] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص123.

[10] . الشرع، علي، لغة الشعر المعاصر، منشورات عمادة البحث العلميّ والدراسات العليا، جامعة اليرموك، الأردن، ط1، 1991م.، ص7.

[11] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص121.

[12] . الشرع، علي، لغة الشعر المعاصر، ص8.

[13] . إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1967م، ص166.

[14] . العكش، منير، أسئلة الشعر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979م، ص14.

[15] . النابلسي، شاكر، الضوء واللّعبة، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986م، ص550.

[16] . فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء، القاهرة، ط2، 1998م، ص65.

[17] . ساعي، أحمد، حركة الشعر الحديث من خلال أعلامه في سورية، دار المأمون، دمشق، ط1، 1978م، ص41.

[18] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص128-129.

[19] . ميا، فاخر صالح، النظم الإبداعي للشاعر بدر شاكر السياب، دار الينابيع، دمشق، ط1، 1999م، ص21.

[20] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص129.

[21] . المرجع السابق، ص129.

[22] . قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، منشورات نزار قباني، بيروت، ط12، 1983م، ص595.

[23] . المصدر السابق، ص763.

[24] . ساعي، أحمد، حركة الشعر الحديث من خلال أعلامه في سورية، ص206.

[25] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص130.

[26] . المرجع السابق، ص130.

[27] . قباني ، نزار، الأعمال النثرية الكاملة، ج7، ، منشورات نزار قباني، بيروت، ط2، 1993م، ص 301، 302.

[28] . المجالي، محمد، الشاعران حيدر محمود ونزار قباني، منشورات أمانة، عمان، ط1، 2007م، ص256.

[29] . قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص60.

[30] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص133.

[31] . الزوبعي، طالب- حلاوي، ناصر، البيان والبديع، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1996م، ص144..

[32] . جيرو، بيير، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1900م،ص33.

[33] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص134.

[34] . جيرو، بيير، الأسلوب والأسلوبية، ص296.

[35] . أبو مراد، فتحي، شعر أمل دنقل (دراسة أسلوبية)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2003م، ص111.

[36] . أبو مراد، فتحي، شعر أمل دنقل (دراسة أسلوبية)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2003م، ص111.

[37] . المرجع نفسه، ص111.

[38] . عاشور، فهد، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م، ص35.

[39] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص135.

[40] . المجالي، طارق، دراسة أسلوبية لشعر نزار قباني (رسالة دكتوراه)، قسم طرق التدريس وأساليب التعليم، جامعة مؤتة، الأردن، ط1، 2019م، ص123.

[41] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص135.

[42] . عاشور، فهد، التكرار في شعر محمود درويش، ص36.

[43] . المرجع السابق، ص36.

[44] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص136.

[45] . قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة، ج2، منشورات مزار قباني، بيروت، ط6، 1986م، ص429.

[46] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص137.

[47] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص163.

[48] . المرجع السّابق، ص164.

[49] . قباني، نزار، الأعمال الشعريّة الكاملة، ج1، ص95-96.

[50] . هنيدي، د.نزار، نزار قباني، أعلام ومبدعون55، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، ط1، 2020م، ص50-51.

[51] . المرجع السّابق، ص52.

[52] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص165.

[53] . ميا، فاخر صالح، النّظم الإبداعي عند السّيّاب، ص99.

[54] . قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج9، منشورات نزار قباني، بيروت، ط1، 2002م، ص258-259.

[55] . قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، منشورات نزار قباني، بيروت، ط2، 1982م، ص52.

[56] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص166- 167.

[57] . قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص54- 56.

[58] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص168.

[59] . قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص101- 103.

[60] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص170.

[61] . قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص71.

[62] . المرجع السّابق، ص132.

[63] . قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص219.

[64] . المرجع السّابق، ص244.

[65] . القواسمة، هشام، الرؤيا والتشكيل (دراسة في شعر نزار قباني)، ص171.

[66] . هنيدي، د.نزار، نزار قباني، أعلام ومبدعون55، ص55.

[67] . هنيدي، د.نزار، نزار قباني، أعلام ومبدعون55، ص58..

[68] . قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص95..

[69] . المصدر السّابق، ص383.

## المصادر والمراجع:


1- أبو مراد، فتحي. شعر أمل دنقل (دراسة أسلوبية). عالم الكتب الحديث. الأردن. ط: 1. 2003م.

2- إسماعيل، عز الدّين. الشعر العربي المعاصر( قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية). دار الكتاب العربي. القاهرة. ط: 1. 1967م.

3- بارت، رولان. الدرجة الصّفر للكتابة. ترجمة: محمد برادة. الشركة المغربية للناشرين المتحدين. المغرب. ط: 3. 1985م.

4- جيرو، بيير. الأسلوب والأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي. مركز الإنماء القومي. بيروت. ط: 1. 1994م.

5- حبيب، بروين. تقنيات التعبير في شعر نزار قباني. ط: 1. المؤسسة العربية للدّراسات والنشر. بيروت. 1999م.

6- الزوبعي، طالب، وحلاوي، ناصر. البيان والبديع. ط: 1. دار النهضة العربية. بيروت. 1996م.

7- ساعي، أحمد. حركة الشّعر الحديث من خلال أعلامه في سورية. ط: 1. دار المأمون. دمشق. 1978م.

8- الشّرع، علي. لغة الشّعر العربي المعاصر. منشورات عمادة البحث العلمي والدراسات العليا. الأردن. ط: 1. 1991م.

9- عاشور، فهد. التكرار في شعر محمود درويش. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط: 1. 2004م.

10- العكش، منير. أسئلة الشّعر. المؤسسة العربية للدّراسات والنشر. بيروت. ط: 1. 1979م.

11- فضل، صلاح. أساليب الشّعريّة المعاصرة. دار الآداب. الكويت. ط: 1. 1995م.

12- قباني، نزار. الأعمال الشعرية الكاملة، ج1. منشورات نزار قباني. بيروت. ط: 12. 1983م.

13- قباني، نزار. الأعمال الشعرية الكاملة، ج2. منشورات نزار قباني. بيروت. ط: 6. 1986 م.
14- قباني، نزار. الأعمال الشعرية الكاملة، ج3. منشورات نزار قباني. بيروت. ط: 2. 1982م.
15- قباني، نزار. الأعمال النثرية الكاملة، ج7. منشورات نزار قباني. بيروت. ط:2. 1993م.
16- قباني، نزار. الأعمال الشعرية الكاملة، ج9. منشورات نزار قباني. بيروت. ط: 1. 2002م.
17- القواسمة. هشام. الرؤيا والتّشكيل (دراسة في شعر نزار قباني). قسم اللغة العربية. كلية الآداب. جامعة مؤتة. الأردن. 2009م.
18- المجالي، طارق. دراسة أسلوبية لشعر نزار قباني. قسم طرق التدريس وأساليب التعليم. كلية التربية. جامعة مؤتة. الأردن. 2019م.
19- المجالي، محمد. الشاعران حيدر محمود ونزار قباني. منشورات أمانة. عمان. ط: 1. 2007م
20- المسدي، عبد السّلام. الأسلوبية والأسلوب. دار سعاد الصباح. الكويت. ط: 4. 1994م.
21- ميا، فاخر صالح. النظم الإبداعي للشّاعر نزار قباني. دار الينابيع. دمشق. ط: 1. 1999م.
22- النابلسي، شاكر. الضوء واللعبة. المؤسسة العربية للنشر والتوزيع. بيروت. ط: 1. 1986م.
23- هنيدي، د.نزار. نزار قباني، أعلام ومبدعون55. وزارة الثقافة، الهيئة العامة السّورية للكتاب. دمشق. ط:1. 2020م.
24- الورقي، السعيد. لغة الشعر العربي الحديث. مطبعة الجيزة. الإسكندرية. ط: 1. 1979م